قراءة هادئة في عملية صاخبة
ورقة تحليل

أولاً : الموقف :

تحدث العدو الإسرائيلي في الأيام الماضية أنه على إثر تفجير عبوة ناسفة في تاريخ ١٣ ٠٣ ٢٠٢٣ على مفترق مجدو ـ تقاطع شارع ٦٥ مع شارع ٦٦ ـ أصيب الفتى شريف خمايسة من سكان كفر قاسم بإصابات بالغة ، قامت على إثر هذه العملية قوات الجيش وأجهزة الأمن بعمل طوق أمني والبدئ بعمليات التفتيش التي أسفرت عن توقيف سيارة تقل شخصين بالقرب من بلدة عارا ، تبين أن أحد راكبيها يشكل خطراً على الجهات التي أوقفته ، مما دفعها إلى تحييده قتلاً ، وبعد إجراء عمليات التفتيش ؛ تبين أن القتيل يحمل حزاماً ناسفاً ومسدساً حربياً ، لم يتمكن من استخدامهما !! كما تبين أن صاحب السيارة التي استقلها القتيل ،وبعد التحقيق معه ؛ لم يكن يعرف بفعل القتيل السابق ، أو نواياه اللاحقة . وقد سارعت الجهات الأمنية الإسرائيلية بالإشارة إلى أن هذه العملية وبهذا الشكل غير مسبوقة ، وهي تحمل بصمات "حزب الله " كون أن العبوة المتفجرة تشبه إلى حد كبير تلك التي كان " حزب الله " يستخدمها ضد قواته والعملاء اللحديين إبان فترة احتلال تلك القوات للجنوب اللبناني ، كما أن أثرها يشبه أثر تلك التي كانت تشغل ضده هناك ، حيث بلغ أثرها التدميري الثلاثين متراً . كما وقد صرح ساسة العدو وقادته الأمنين والعسكريين ومحلليه المختصين بسيل من التصاريح من أهمها ما قاله وزير الدفاع الجنرال " يواف غالنت " حيث قال : ... لقد تم تفادي حادثاً أكثر خطوة . كما وصف الجنرال احتياط " يسرائيل زيف" الرئيس السابق لقسم العمليات في جيش الاحتلال ، وصف هذه العملية بأنها اعتداء غير عادي للغاية ! أما عن المحللين والصحف ؛ فقد وصفوا هذه العملية بأوصاف كثيرة من أهمها ما قاله أحد الصحفيين من أن هذا الحدث برمته فشل ذريع للجيش لا توجد طريقة لتجميله . كما وصفه موقع " حدشوت " العبري بأنه عملية من أخطر العمليات التي عايشناها خلال الفترة الماضية .

ثانياً : التحليل :

إن معطيات هذا الموقف ، وما نتج عنه ، وما قيل حوله يثيرُ أسئلة أكثر مما يقدم إجابات ، وهنا لا يدعي كاتب هذا التحليل أن لديه معطيات أو معلومات قد ترفع بعض ما حاق بهذا الحادث من إبهامات ، وإنما هي بعض الاستنتاجات والآراء والاستفسارات التي قد تساعد في فهم أو بناء صورة مشهدية عما حدث ، نبدؤها بالأسئلة والاستفسارات ، ثم نلحقها بالتحليل وبعض الإجابات .

الأسئلة والاستفسارات :

١. لماذا دَفع المُشغل لهذا المُنفذ ، في هذا الوقت الذي يبحث فيه قادة الكيان المؤقت عما يوحد صفوفهم ، ويرأب صدعهم ؟
٢. ألا يشكل العمل في هذا التوقيت طوق نجاة لنتنياهو وتحالفه ينتشلهم مما هم فيه من مخمصة أمام معارضيهم ؟
٣. من أين انطلق المنفذ ومن أي جهة دخل إلى فلسطين المحتلة ؟

٤. هل جاء من الشمال المراقب والمسيطر عليه من قوات اليونفيل و " حزب الله " المنتشرين من رأس الناقورة وحتى العرقوب ، فضلاً عن مرابض العدو وقواته وأجهزت رصده التي (تحصي) الأنفاس على كل ما في المنطقة من ناس ؟
٥. أليس ممكناً أن يكون المنفذ قد انطلق من الحدود الشرقية لفلسطين حيث الأغوار الشمالية الأقرب جغرافياً إلى منطقة الهدف ، والتي تشهد زيادة في عمليات تهريب الأسلحة وتردد المهربين ؟
٦. إذا كان المنفذ ـ كما زعم العدو ـ أنه يحمل حازماً ناسفاً ومسدساً حربياً ؛ لماذا لم ينتظر بالقرب من مكان التفجير ، ثم يبادر القوة العسكرية والأمنية التي جاءت إلى المكان فينغمس فيهم فيجرح من يجرح ويقتل من يقتل ، ثم ينهي مسيره ومصيره بتفجير حزامه الناسف ، فيلحق آخر القوم بأولهم ؟
٧. هل كان القصد من التفجير في هذا المكان ، شد انتباه العدو وجلب عدته وعديده إلى حيث ساحة العملية ؛ ثم يكمل المنفذ مسيره جنوباً حيث قيل أنه حُيد بالقرب من بلدة عارا وهي في الجنوب الغربي لمكان العملية على امتداد شارع ٦٥ ؟
٨. إلى أين كان يتجه المنفذ ؟ وما هو هدفه الأصلي الذي لم يُكشف عنه إلى الآن ؟ وهو ما ساقه جنوباً حيث قيل أنه قُتل وحُيد .
٩. ما هو الهدف الحقيقي الذي كان يقصده المنفذ والذي وصفه وزير الدفاع أنه أكثر خطورة لو كان تحقق ما أراد المنفذ ومشغليه ومرسليه ؟
١٠. لماذا لم يُشغل هذا الفدائي حزامه الناسف عندما وجد نفسه محاصراً بقوات الأمن والجيش ؟
١١. لماذا لم يقدّم العدو إلى الآن أي صورة أو وثيقة شخصية تثبت أنه قتل هذا المنفذ أو حيده ؟ وهو الذي يتباها بتقديم مثل هذه الأدلة وتلك الوثائق عندما تقع بين يديه .
١٢. قال العدو أن المنفذ قد يكون خرج من مخيمات الشتات الفلسطيني في لبنان . فهل يعقل أن يغيب شخصٌ عن ذويه وأهل حيه هذه المدة دون أن يُنتبه له أو يشعر المحيط بغيابه ، خاصة في ظل الظروف الأمنية والاجتماعية التي يعيشها لبنان الآن ؟
١٣. ما هو الهدف السياسي والعسكري الذي تَطلب مثل هذه المغامرة المحفوفة بكل هذه المخاطر ، والتي تتساوى فيها نسب النجاح مع نسب الإخفاق ؟
١٤. هل تكفلت الجهة التي أرسلت هذا الفدائي بتأمين اجتيازه للحدود ، ثم هو تكفيل بباقي الإجراءات والحركات التي أوصلته إلى حيث زرع عبوته ؟
١٥. أم أن فريقاً مسانداً داعماً كان في انتظاره بعد اجتاز الحدود ، قام بالتقاطه وإيصاله إلى أقرب نقطة من مكان الهدف ، ثم انفصل عنه وتركه في حال سبيله ؟
١٦. إذا كانت الإجابة عن السؤال السابق تقول : أن فريقاً مسانداً ساعدة في الوصول إلى هدفه الأول ؛ لماذا تركه ولم يكمل معه المسير باتجاه الهدف الرئيسي أو الهدف التالي ؟
١٧. ما هو مدى المواكبة المعلوماتية التي واكبت المنفذ من قبل مشغليه بعد أن اجتياز حدود فلسطين المحتلة وتوغل جنوباً نحو هدفه أو أهدافه المفترضة ؟

١٨. أليس من الممكن أن يكون هذا الفدائي من أبناء فلسطين المحتلة ـ الضفة أو الثمانية والأربعين أو غزة ــ ولم يُفصح العدو عن هذا الأمر حتى لا يكون نموذجاً يقلد من قبل غيره ؟

١٩. ألا يُحتمل أن يكون هذا الفدائي حيٌ يرزق ، وسيغيّب كما غاب يحيى سكاف اللبناني الذي كان ضمن مجموعة الشهيدة دلال المغربي التي اجتازت بمجموعتها الحدود في ١١ ٠٣ ١٩٧٨ ـ لاحظوا تقارب التاريخين ـ والذي قيل أنه قتل ، ولم يقدم إلى الآن دليل على مقتله .

تحليل الموقف ودلالاته :

بناء على هذا الكم من الأسئلة ، فإننا يمكن أن نجازف ونقول أن هذا الفدائي ومن أرسله إنما كان يريد أن يسجل موقفاً على العدو ، يقول له فيه أننا قادرون على اختراق الحدود والدفع بمقاتل متخف مسلح بوسائط قتل ، فيصل إلى هدف فيلتحم معه ويحقق فيه خسائراً ، المعنوي فيها أكثر من المادي ، وأن الجهة التي أرسلت هذا الفدائي قد تركت له حرية اختيار الهدف وزمان الاشتباك معه ، فاجتاز الحدود ولم يصادف في طريقه هدفاً (دسماً) يمكن أن يلتحم معه ، فاندفع جنوباً حيث مفترق مجدو ، مع معرفته المسبقة أن هذا المفترق يشكل عقدة مواصلات مهمة ، وأن الوصول له وزرع عبوة فيه يعني أن خرقاً أمنياً غير مسبوق يسجل في دفتر إخفاقات هذا العدو الصائل ، فوصله ؛ ثم زرع عبوته هناك وتركها لتنفجر ذاتياً ، ثم واصل سيره جنوباً حيث عارا ، فاصطدم بقوات الجيش ، لتنتهي هنا الرواية . وهنا لا يمكن أن نثبت أو ننفي تحييد هذا الفدائي ، ما لم يقدم العدو دليلاً دامغاً على صحية ما يقول . أما عن دلالات هذه الموقف ، فيمكن أن نسجل مجموعة من النقاط ، من أهما ما يأتي:

١. أن هذا العدو أوهن من بيت العنكبوت ، إذا ووجه بمن تساوى عنده الموقف ؛ أيحيا أم يموت.
٢. إن ما يرغي فيه العدو ويزبد من أنه ممسكٌ لـ (حدوده) ، وأنه يستحيل اختراقها ، أمرٌ لا يصمد أمام دليل ، فهذه حدود قابلة للاختراق ، ممكنة التخطي .
٣. إن من أرسل هذا الفدائي أراد أن يرسل رسالة لمن يهمه الأمر ـ وقد وصلت ــ مضمونها أننا قادرون على اللعب في (مصارينك) كما تلعب أن في (مصارينا) والأيام دول .
٤. من أرسل يعرف أنه أرسل ومن أرسل ، ومن يجب أن تصله الرسالة قد وصلته الرسالة ، وأن مثل هذا الأمر محكومة بمعادلة بين الخصوم ، ليسوا معنيين بأن يعرفها غيرهم تقول ـ المعادلة ـ : أنت تعرف أنني أعرف أنك تعرف ، والبنى على الشيء مقتضاه . والسلام .
٥. أن من فعل هذا الفعل قادرٌ على تكراره ، وما خفي أعظم .
٦. أن من أرسل مقاوم أسداً منفرداً قادرٌ على إرسال (قطيع) من الذئاب المفترسة التي ستنهش لحمك وتقض مضجعك .
٧. إن من أرسل هذا المقاوم يعلم أن العدو في أضعف حالاته الداخلية، وأنه لن يجرؤ على رد فعل صاخبٍ ، يتدحرج إلى مناوشات حدودية أو معركة موضعية ، حتى لو أدت العملية إلى وقوع خسائر بشرية .

ثالثاً : التقدير :

وعليه نعتقد أن تفاصيل هذه العملية ستبقى حبيسة خزائن الملفات السرية ، وأننا لن نكون أمام موعد قريب يُفصح فيه عن الجهة التي أرسلت هذا الفدائي أو تكشف عن هويته أو مصيره ، وستبقي إجراءات رد الفعل المعادي في خانة الإجراءات الأمنية التي تتطلب ممن يناصبون هذا العدو العداء ، رفع حالة التحسب والتحوط الأمنية ، كما نعتقد أن نجاح هذه العملية سيغري الكثيرين ـ في داخل فلسطين وخارجها ـ لتكرار التجربة ، وطرق الباب من جديد بيد من حديد . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

عبد الله أمين
١٨ ٠٣ ٢٠٢٣